التعبيرية التجريدية والرسم الفعلاني
دراسة مقارنة في أعمال جاكسون بولوك وروبرت موذرويل

المدرس المساعد أسيل انتصار هاشم
جامعة البصرة / كلية الفنون الجميلة / قسم الفنون التشكيلية

الفصل الأول : الإطار العام للبحث

مشكلة البحث

شهد العالم تحولاً كبيراً وفي مجمل جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعد الحرب العالمية الثانية . إذ تحول العالم إلى سلطة القطب الواحد المتمثل في الولايات المتحدة الأميركية . فانعكس ذلك التحول على الفن التشكيلي بظهور مدارس تشكيلية كبيرة . كالمدرسة التعبيرية التجريدية الامريكية المعاصرة Contemporary American Abstract Expressionism والفن الشعبي Pop Art والفن المفاهيمي Conceptual Art والواقعية المفرطة Photo-realism وغيرها من الاتجاهات الفنية التي عدت متحولاً كبيراً في تاريخ الفن العالمي في أميركا بعد أن نقلت المركز الابتكاري من باريس الى نيويورك . وبسبب هيمنة الولايات المتحدة الأميركية وغلبها العسكرية كقوة عظمى مما أسبغ عليها كمؤثر اقتصادي كبير انعكس على الجوانب الفكرية وانتشار الفلسفة البراجماتية كفلسفة معاصرة . على اثرها عدت أميركا قبلة المهاجرين من كل انحاء العالم . هذه المسببات وجدتها الباحثة ملامح يستلزم الوقوف عندها وقراءة مبرراتها وخصائصها بوعي . لتسقطه كمسببات منطقية في الرسم مابعد الحداثة وبالخصوص مع التعبيرية التجريدية كأول مدرسة فنية قائمة على مبدأ متناقض من الناحية المفاهيمية . فـ(التعبير) يكمن في ماهو ذاتي ونفسي وماهو موقف تجاه العالم . بينما (التجريد) يكمن في الموضوعي والمتسامي والسعي المتواصل في الميتافيزيقيا . اي ان التعبير هو حالة من التواصل بينما التجريد هو حالة من الانقطاع . فالتعبيرية التجريدية وحسب ماقدمته الأعمال الفنية لاسيما في الرسم تميزت بتقنية جديدة استطاع الفنانون من العمل عليها وحسب تبني كل منهم لنوع التقنية التي تؤدي غرضها في بث رسالتها للمتلقي . وعليه يمكن تقسيم تقنية التعبيرية التجريدية على وفق التسمية والجمع مابين التعبيرية والتجريدية الى نوعين هما الرسم الفعلاني القائم على تقنية سكب الألوان أو تقطيرها (Dripping) أو تسييلها على سطح اللوحة بدواعي انفعالية ونفسية مثيرة . أما النوع الثاني وتمثل بالتجريدية الهندسية المستقدمة من الفنانين التجريديين ومنهم (بيت موندريان وكازمير مالفيتش) (هناك نوعان من الرسم التعبيري التجريدي . لانوع واحد . النوع الأول . الذي يمثله بولوك وفرانز كلاين ووليم دي كونينغ . حيوي وايمائي . وكل من بولوك ودي كونينغ يولي اهتماماً للتشخيص . أما النوع الثاني الذي يمثله مارك روثكو . فهو اكثر تجريداً وأكثر سكينة) (م٦ . ص ٣٣) علماً أن الفنان موذرويل أحد الرسامين الفعلانيين . هذه الاشكالية التقنية المتباينة مابين الفنانين حفزت الباحثة من تتبع الفوارق التقنية لأعمال فنانين من المدرسة التعبيرية التجريدية ضمن الرسم الفعلاني كدراسة مقارنة مابين أعمال الفنان جاكسون بولوك والفنان روبرت موذرويل . وعليه حددت الباحثة مشكلة البحث على ضوء التساؤل الاتي . ماهي القيمة الشكلية والجمالية والأدائية لكل من أعمال الفنانين المذكورين ؟

أهمية البحث والحاجة اليه تبرز اهمية البحث أنه يؤكد على التباين الفكري الناجم عن كشف الفوارق التقنية لكل من اعمال اثنين من التعبيريين التجريديين ضمن مسار الرسم الفعلاني . كما أنه يعد من الدراسات التي لم يتطرق لها من قبل ليطلع عليها الباحثين والمهتمين في الجانب التقني .

هدف البحث

يهدف البحث الى تعرف المدرسة التعبيرية التجريدية والرسم الفعلاني بشكل خاص والكشف عن الفوارق التقنية بين فناني هذه المدرسة من خلال دراسة مقارنة لأعمال كل من جاكسون بولوك والفنان روبرت موذرويل .

حدود البحث

تنحصر حدود البحث في أعمال الفنانين (جاكسون بولوك و روبرت موذرويل) كرائدين للرسم الفعلاني في المدرسة التعبيرية التجريدية . وللفترة (١٩٣٩ – ١٩٤٥) كأول ظهور وازدهار هذه المدرسة الفنية في أمريكا .

الفصل الثاني : الاطار النظري

مقدمة

التعبيرية التجريدية بوصفها لغة بصرية جديدة شكلت تنظيماً بصرياً فريداً للسطح التصويري واوجدت لذاتها كنسق فني لغة خاصة سعت لاستيعاب مفهوم الاداء الموسيقي في الفن وبقينية الرياضيات كعلم . على نفس المنطلق تعامل فنانو التعبيرية التجريدية مع عملهم الفني فمجدوا الاداء العاطفي والتقني . فأسسوا بموجبه اعمالهم بتلقائية موسيقية وثوابت العلم وسعوا لاستيعاب الضاغط الزماني والمكاني . اذ لم يعد بالامكان ان يستفرق العمل الفني سنوات عدة (كما هو الحال في رائعة ليوناردو دافنتشي جيوكوندا موناليزا) وغيرها من الأعمال الكلاسيكية الكبيرة حتى انهم سعوا ليكون للعمل الفني طلاقة التصورات الطفولية واحيانا كان العمل قائماً على فكرة جمالية التفايات والمهملات كشكل من التعبير . وهي فكرة غريبة لم يألفها الفن من قبل الا ضمن حدود مابتدعه من قبل الفنان الفرنسي الداداني (مارسيل دوشامب) عندما استعان بالمواد المصنعة مسبقاً وعكس قيمة المهمل من خلال توظيفه في العمل الفني

المبحث الأول : التعبيرية التجريدية . الظهور والتاريخ والانتشار

تميزت المدارس الفنية المعاصرة (مابعد الحداثة) أو ماأطلق عليها رسوم مابعد الحرب العالمية الثانية بخصائص ترى الباحثة ضرورة التطرق إليها قبل القراءة التاريخية للتعبيرية التجريدية ومبررات انتشارها بوصفها مرتكز البحث . وكالآتي

١- بفعل تداخل الأساليب الفنية والتي أدت إلى كسر القيود التقليدية للفن . مارس الفنان المعاصر المزاوجة مابين التقنيات والأساليب في العمل الفني الواحد . تجسدت من خلالها بنية غير مسبوقة عبر اللون والشكل والموضوع . فكانت مهمة التداخل فضلاً عن استخدام أساليب قديمة ومستعارة بمنظومة تجريبية للوصول الى عمل فني عابر لمنابع الثقافة الواحدة (م٩ . ص ١٩٤)

٢- تكسرات وتشظي العمل الفني أوجد نوعاً من الفوضى . بالثقافة الشمولية التي أنتجها القيم الفكرية ورفضها سلطة العنف والحروب . وهي لاشك تبعت توجهات العديد من المفكرين (نيتشة و فوكو وجاك دريدا (ان الصفات المميزة للخطاب مابعد الحداثي تفضل التشظي ... وانه يحاول اقامة بنيان خطابه على مفاهيم العداء للرابطة الداخلية . والعداء للسببية القائمة على فكرة التشابه والتكرار ... انه يهدف الى انكار نماذج ذات معنى داخل النص) (م١٥ ١٩٩٥ . ص ١٤) . فالتشظي كما اشتغل عليها الفنان أنه الغى المركزية والسيادة في البناء الفني الجمالي . فأنتجت ظاهرة اللعب الحر ولانهائية الدوال والانتشار . ومن ثم استحالة الوقوف عند معنى محدد للعمل الفني . فأدى ذلك الى تشظي المعنى في منظومة العمل الفني . وهذا يمثل تمثيلاً لمنهج جاك

وضع مساحتين متناظرتين باللون القريب من البرتقالي تراهما الباحثة أعضاء سفلية للكائن . لاسيما أن الفنان ترك بعض المساحات البيضاء تتداخل ضمن الكائن . كما ترى الباحثة أن المساحة البيضاء التي تركها الفنان تحيط الكائن لتفصله عن المنطقة الخضراء توحي أن الكائن في مواجهة مع المساحة الخضراء يتحاور معها يتأملها للوصول الى حالة التطهير الذاتي والوجداني . ومن جانب آخر تجد الباحثة أن الكائن وبفعل حركة أطرافه السفلى (اللون البرتقالي) يواجه المتلقي بنكوصه في الحياة ومأساته ولذا أفرغ المساحة الوسطى في كتلة الكائن وتركها بيضاء يتخللها كائن آخر . تقرأها الباحثة أن المصائب التي تتعرض لها الشعوب هي بفعل أمراض نفسية يعاني منها أصحاب القرار مما يعكس سلوكياتهم على استخدام العنف والحروب فيقع ضحيتها المجتمع المغلوب على أمره . وعلى المجتمع مسؤولية الخروج من تبه السلوكيات المنحرفة . لذا وضع الفنان اللون الأخضر كجانب حيوي للتخلص من انتكاسات العنف والموت القسري . دلالة أن اللون الأخضر لون الحياة واستمراريتها . أما البرتقالي فهما اشارة للقوة والسير في طريق الحرية رغم صعوبته والتخلص من الجمود المجتمعي .

الفصل الرابع : نتائج البحث

١ - المرجعيات التقنية لفناني التعبيرية التجريدية تجريبية تعود الى رسوم الحداثة وماقبلها . فكانت تقنية جاكسون بولوك السريالية وآلية اللعب الحر ومايثه اللاوعي . بينما اشتغل روثكو على توظيف اللون بصورة مكثفة على المساحات المستخدمة من تجارب (بيت موندريان) فتأطرت بسكينة وموسيقية .

٢ – تميل أعمال جاكسون بولوك بثورية لونية وحركية تصعب المسك بها لكونها همشت التمركز التكويني وألغت البؤرة المركزية الواحدة . لذا يجد المتلقي انه ضمن منظومة لونية متشابكة الخطوط والألوان ذات مسارات تأويلية مترامية الاتجاهات . بينما تمظهرت لوحات موذرويل بصراحة المباشرة مع المتلقي تنقله وجدانياً مع سطح واضح المعالم يسير التصور . بذات الوقت غني بالتأمل والتأويل

٣ – تمثل لوحات بولوك مفصلاً مهماً من الرسم الفعلاني . وهي لوحات تجريبية ذات استرجاعات للرسم التجريدي عند تجريدي الحداثة (كاندنسكي وموندريان) وعليه فقد فتحت التعبيرية التجريدية أبواب الرسم الغربي بأوسع ماسبقها كونها غيرت كل المقاييس التقليدية بتقنية تلقائية جمالية كبيرة .

٤ – تمثل التقنية مفصل أساس في الشكل البصري . وأصبح يتحكم في تكوين الصورة ومحتوى فلسفتها

٥ - اختلاف أساليب الرسم داخلها بين فنان وآخر تقنية بقع الألوان والتنقيط لدى بولوك . والأسلوب التخطيطي الحيوي لروبرت موذرويل . وهذا ما يفسر انعدام أي بيان أو برنامج أو نظريات جماعية لهذه الحركة

المصـــــــادر :

١-باشلار . غاستون . جماليات المكان . ترجمة وتحقيق غالب هلسا . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر . ط ١

٢-بدر الدين مصطفى . فلسفة مابعد الحداثة . دار المسيرة للطباعة والنشر . ط ١ .

٣-جنان محمد احمد . الأبستمولوجيا المعاصرة وبنائية تشكيل مابعد الحداثة . اطروحة دكتوراه غير منشورة . جامعة بغداد . كلية الفنون الجميلة . ٢٠١٠

٤- الجبوري . تحرير علي حسين . تمثلات فنون مابعد الحداثة في الرسم العراقي المعاصر . اطروحة دكتوراه غير منشورة . كلية الفنون الجميلة جامعة بابل ٢٠١٤

٥-الدليمي . رياض هلال مطلك . بنائية الشكل الخالص في الشكل التجريدي الحديث . . أطروحة دكتوراه غير منشورة . كلية الفنون الجميلة . جامعة بابل . ٢٠٠٤

٦-سميث . ادوارد لوسي . الحركات العالمية بعد الحرب العالمية الثانية

٧-الطائي . ياسر محمد الشيخ . مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة

٨-عدنان حسين أحمد . الفنان التعبيري التجريدي – أرشيل غوركي وتقنية الرسم الآلي . الحوار المتمدن . العدد ١٣٤١

٩-. ٢٠٠٥ العلوان . فاروق محمد . اشكالية المنهج الفلسفي في الخطاب النقدي التشكيلي المعاصر . منشورات علاء الدين . ط ١ . سوريا ٢٠٠٩

١٠-علي شناوة وادي . السطح التصويري بين الفلسفة والادراك والتمييز . مطبعة الصادق . بابل ٢٠٠٢

١١-فلاح شكرجي . التعبيرية التجريدية الامريكية، المرجعيات والمعطيات www.sotakhr.com/2006

١٢-كريستين زيباس . التعبيرية التجريدية في فن الرسم الامريكي . مجلة ايزي ارتكالس .

١٣-محمود امبز . التيارات الفنية المعاصرة . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . ط ٢ . بيروت . لبنان ٢٠٠٩

١٤-وايتر . ت . ي . أدب الفانتازيا مدخل الى الواقع . ترجمة صبار سعدون الصبار . دار المامون للترجمة والنشر . بغداد ١٩٩٨

١٥-وبندل . ف . هاريس . مفاهيم النقد الأدبي ونظرية الأدب ومابعد الحداثة . ترجمة ناصر ونوس . ملحق الثورة الثقافي . العدد ٥ . ١٩٩٥